

نهاية عصر الولاية وقيام الإمارة الأموية في الأندلس

قامت الدولة الأموية في الأندلس على أثر انتصار عبد الرحمن بن معاوية في معركة المصارة ودخوله قرطبة في يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ/ ١٤ أيار ٧٥٦ م. وعلى الرغم من هذا الانتصار، لم يتمكن الأمير الأموي أن يسيطر أول الأمر على الأندلس كلها. فلقد كان ليوسف والصميل الكثير من المؤيدين، مما شجعهما على محاولة استعادة سلطانهما السابق. وقد جاءت إلى يوسف عندما كان في طريقه إلى طليطلة نجدة من الشمال الشرقي، بقيادة ابنه عبد الرحمن، تقدر بخمسمئة فارس. وفي طليطلة نال يوسف تأييد حاكمها الفهري، هشام بن عروة، الذي قدم له تعزيزات كثيرة. وقد قاد يوسف هذه القوات إلى جيان حيث كان الصميل يستنفر أتباعه هناك. فالتقيا، واستوليا على جيان، وطردا منها العامل الذي عينه عليها الأمير عبد الرحمن بن معاوية. ثم سارا إلى البيرة، وأجبرا عاملها أيضاً على الفرار إلى المناطق الجبلية المجاورة وبوصول هذه الأنباء إلى عبد الرحمن، وجد أنه لا مفر له من السير إليهما قبل أن يستفحل خطرهما على الوضع الجديد. وقد استخلف أبا عثمان على قرطبة، وترك معه بعض الموالى وسكان أهل المدينة من اليمنيين. ولكن ما إن علم يوسف بغياب عبد الرحمن عن قرطبة، حتى أوعز إلى ابنه أبي زيد، الذي كان في ماردة، بمفاجأة قرطبة واحتلالها. ونجح هذا الأخير في مهمته، لكنه لم يتمكن من البقاء فيها، وغادرها فور سماعه برجوع الأمير عبد الرحمن إليها، مكتفياً بأخذ أبي عثمان أسيراً معه. وقد أعاد عبد الرحمن تنظيم المدينة، وعهد بحراستها إلى رجل موثوق، هو عامر بن علي، جد بني فهر الرصافيين. ثم مضى لاستكمال حملته نحو البيرة، وعندما وصل هناك، وجد أن يوسف والصميل

مستعدان للمفاوضات. ويبدو أنهما أحسا بعدم قدرتهما على الاستمرار في المقاومة، ففضلا الصلح مع عبد الرحمن. وتم التوصل إلى عقد اتفاق بين الطرفين في سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م، اعترف بموجبه كل من يوسف والصميل بعبد الرحمن بن معاوية أميراً على الأندلس، مقابل احتفاظهما بكل أموالهما وأملاكهما، وإعلان العفو العام عن جميع أنصارهما. وقد رضي عبد الرحمن بهذه الشروط، ووافق يوسف على أن يستودعه ابنه، أبا زيد عبد الرحمن، وأبا الأسود محمداً، ليبقيا رهينتين حتى تهدأ الأمور، ويسود السلام. كما تبادلا الأسرى، فأطلق عبد الرحمن سراح خالد بن زيد، الرسول الذي سجن على أثر

فشل المفاوضات في طُرش، مقابل إطلاق

ص ١٠٣ - الفصل الأول دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وتأسيس الإمارة الأموية

ثم عاد الجميع إلى (٢٩) سراح أبي عثمان، الذي أسر في الهجوم على قرطبة العاصمة، وسارت الأمور على خير ما يرام لفترة من الزمن، وعامل عبد وقد حاول بعض أعداء الوالي السابق مطالبته .الرحمن الجميع بلطف وكرم بحقوق لهم عنده أثناء ولايته، وادعوا أنه قد استولى هو والصميل على أراضيهم وممتلكاتهم، وطالبوا بمقاضاتهم أمام القاضي يزيد بن يحيى التجيبي. وكان هؤلاء يحسبون أن القاضي سيتحيز ضدهما، ولكنه تمالك نفسه، ولم يقض في (٣٠). أمرهما إلا بالحق، وأظهر براءتهما، فظلا مشمولين برعاية وإكرام الأمير ولكن الأمور لم تستمر على هذا المنوال، لأن الوضع الجديد في قرطبة لم يحظ بتأييد الكثير من الأسر القرشية من بني فهر وبني هاشم، الذين كانوا يتولون في العهد السابق أرفع المناصب في البلاد. وقد تحولت هذه المناصب الرئيسية إلى موالى الأمير، وأقربائه الذين جاءوا من المشرق، مثل عبد الملك بن عمر بن

مروان، المعروف بالمرواني، وابنه عبد الله، وجزيء بن عبد العزيز بن مروان. ومن هنا، فقد بدأت الجماعات المتضررة بتحريض يوسف الفهري على الأمير الجديد. وقد أذعن يوسف لضغطهم، وحاول أن يستميل الصميل والأجناد الشاميين، لكنه فشل في حملهم على الاشتراك معه في التمرد على النظام الجديد. وعلى الرغم من هذا، فقد فر يوسف من قرطبة واستطاع أن يغري بعض البلديين والبربر في لقنت وماردة وطليلة، فثاروا في هذه النواحي سنة ١٤١ هـ/٧٥٨ م. وقد حاول يوسف أن يستولي على مدينة إشبيلية التي كانت تحكم من قبل ابن عم الأمير عبد الرحمن، عبد الملك المرواني. ولكنه ما أن سمع بقدم جيش عبد الرحمن إليه، حتى رفع الحصار عن إشبيلية، ومضى للقاء عبد الرحمن. وقد لاحق المرواني، وابنه عبد الله، حاكم مورور، يوسف، الذي خشي أن يقع بين كل من جيش عبد الرحمن، وجيش المرواني وابنه، فهاجم الجيش الأخير، وأسفرت المعركة عن هرب رجال يوسف، وفراره هو أيضاً إلى طليطة. ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى هذه المدينة والالتجاء إلى قريبه هشام بن عروة الذي كان عاملاً عليها. فقد استطاع أحد أبناء الأنصار، ويدعى عبد الله بن عمر الأنصاري، أن يتعرف عليه ويقتله على الطريق على بعد ستة كيلو مترات من طليطة. ثم أقبل عبد الله الأنصاري برأس يوسف على الأمير عبد الرحمن، فأمر بقتل أبي زيد بن يوسف، وأبقى الابن الآخر في السجن لصغر سنه. ولما كان أحد أبناء الصميل مشتركاً في هذه المؤامرة، فإن عبد الرحمن لم يكن ليصدق بأن

أخبار مجموعة، ص ٩٣ - ٩٤ (٢٩)

المصدر نفسه، ص ٩٤ - ٩٥ (٣٠)

ص ١٠٤ - الفصل الأول دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وتأسيس الإمارة الأموية

الصميل كان لا يعلم بخطة يوسف في التمرد، وأن الأخير قام بهذا العمل من تلقاء نفسه. ومن هنا، فقد اتهم الصميل بهذا التدبير، وبالتستر على هرب يوسف، وألقى عليه القبض وسجنه في قرطبة. وبعد مقتل يوسف وابنه، قتل الصميل في سجنه وهكذا صفا الجو لعبد الرحمن، (٣١) مخنوقاً بتدبير من عبد الرحمن الداخل وانتهى على يديه العصر الأول للعرب في الأندلس، وهو عصر الولاة، وأصبح الحاكم الشرعي للبلاد، مؤسساً بذلك إمارة أموية مستقلة حكمت الأندلس نحو ثلاثة قرون.

انظر: المصدر نفسه، ص ١٠٠ - ١٠١، فتح الأندلس، ص ٦١؛ ابن (٣١)

عذاري؛ ٢ / ٤٩؛ المقرئ ٣ / ٣٥ - ٣٦

ص ١٠٥ - الفصل الثاني أعمال الأمراء الأمويين في تثبيت السلطة والاستقرار

الفصل الثاني

أعمال الأمراء الأمويين في تثبيت السلطة والاستقرار

ابتدأ عهد الإمارة في الأندلس بانتصار عبد الرحمن بن معاوية في معركة المصارة، ولم تعد الأندلس تتبع الخلافة الإسلامية في المشرق كما كانت في عهد الولاة. بل أصبحت إمارة مستقلة سياسياً حكمها عبد الرحمن وذريته من بعده. ، (الداخل) وكان كل واحد من حكامها يسمى أميراً. أما عبد الرحمن، فقد لقب ب لأنه أول من دخل الأندلس وحكمها من بني أمية. كما يعرف أيضاً باسم عبد

الرحمن الأول، تمييزاً له عن أميرين آخرين حكما الأندلس باسم عبد الرحمن، وهما عبد الرحمن الثاني أو الأوسط، وعبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله. أما من الناحية الروحية، فقد استمر عبد الرحمن الأول لفترة قصيرة من الزمن بالخطبة والدعاء للعباسيين في المشرق، لكنه لم يلبث أن قطع الدعاء لهم، بعد أن أشار عليه عبد الملك بن عمر المرواني بذلك. وذكره بسوء صنيع العباسيين ببني أمية. ويذكر المقري أن عبد الرحمن تردد أول الأمر، لكنه قطع الدعاء حين هدده المرواني المذكور بالانتحار إذا لم يقطع الخطبة للخليفة أبو جعفر المنصور، (١) فقطعها عبد الرحمن بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر.

ولكن عبد الرحمن وإن كان قد قطع الخطبة للعباسيين، إلا أنه لم يلعب نفسه ويعود السبب في عدم (ابن الخلائف) خليفة، واكتفى بأن أضاف إلى اسمه لقب تلقبه بلقب خليفة، لأنه وخلفاءه كانوا يشعرون بأن الخلافة الإسلامية واحدة لا تتعدد، وأن الخليفة الشرعي للمسلمين، الملقب بأمر المؤمنين، لا يكون إلا لمن يملك الحجاز والشام والعراق، والمواطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة، ويضيف (٢) وأهل الملة والفتح

المقري: ٥٩ / ٣؛ وانظر أيضاً: ابن حزم، نقط العروس، تحقيق: د. شوقي (١) ضيف، مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة)، المجلد ١٣، العدد ٢، (١٩٥١)، ص ٧٥؛ الحلة السيرة؛ ٣٥ / ١؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٠٢. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص (٢) = ٢٢٨؛ وقارن

، وهو أيضاً لقب ديني، لكن (٣) بعض المؤرخين إلى اسم عبد الرحمن لقب إمام ، يبدو أنه لم يكن لقباً رسمياً يستعمل بالمفهوم الذي يعنيه لقب الخليفة. واستمر خلفاء عبد الرحمن الأول على هذا الحال حتى مجيء عبد الرحمن الثالث، الذي أعلن الخلافة الأموية في الأندلس، وتلقب بلقب أمير المؤمنين سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٩ م، كما سنرى فيما بعد.

وقد نقل عبد الرحمن الأول صيغة الحكم الوراثي إلى الأندلس، وذلك بنقل السلطة إلى أولاده وأحفاده من بعده. وقد صاحب هذه العملية بعض المشاكل، لكنها لم تكن تضاهي ما كان يحصل في المشرق الإسلامي، أمور خطيرة نجمت عن اتخاذ هذا النظام. ويبدو أن عبد الرحمن الأول قد فشل في إيجاد نظام بديل لولاية العهد وتوفي سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م دون أن يتوصل إلى قرار حاسم لهذا الأمر. وتشير الروايات إلى أنه تردد في إسناد ولاية العهد إلى ابنه الأكبر سليمان الذي ولد في الشام، ثم لحق بأبيه إلى الأندلس وأصبح أخيراً حاكماً على مدينة طليطلة، أو إلى ابنه الآخر هشام المولود في الأندلس من جارية إسبانية، وتولى شؤون مدينة ماردة. ويزعم بعض المؤرخين أن عبد الرحمن طلب من ابنه الثالث عبد الله المعروف بالبلنسي، أن يسلم الإمارة، في حالة وفاته، إلى من يسبق من فإن سبق إليك هشام، فله فضل دينه، " :قائلاً الأخوين في الدخول إلى قرطبة، وعفاه، واجتماع الكلمة عليه؛ وإن سبق إليك سليمان، فله فضل سنه، ونجدته، فقدم هشام قبل سليمان، فنال الإمارة ودخل القصر. ولا (٤) " وحب الشاميين له يعقل، بطبيعة الحال، أن يترك عبد الرحمن ولاية العهد بهذا الشكل، وهو رجل الدولة القوي الذي أقام أركان الدولة الأموية بالأندلس ولا بد أنه عين الأمير هشام لهذا المنصب قبل وفاته. ولكن سليمان لم يعترف بهذا الأمر، فثار في طليطلة،

وقامت الحرب بين الأخوين، وانضم الأخ الثالث عبد الله البلنسي إلى سليمان. وقد انتهت الأزمة بهزيمة سليمان وعبد الله، ونفيهما إلى المغرب. وقد تجددت المشكلة حين وفاة هشام سنة ١٨٠هـ/٧٩٦ م، وتولي ابنه الحكم الأول، فرجع عماء سليمان وعبد الله، وثاروا مرة ثانية مطالبين بالإمارة. وانتهت ثورتها هذه المرة أيضاً بالفشل وبمقتل سليمان سنة ١٨٤هـ/٨٠٠ م. أما عبد الله، فقد اضطر إلى عقد الصلح مع ابن أخيه الحكم الذي عفا عنه وحدد إقامته في مدينة بلنسية، (٥) ومن هنا صار يعرف بالبلنسي.

العبادي؛ المرجع، ص ١٠٣ =
العذري، ص ١١؛ ابن عذاري: ٢ / ٥٤ (٣)
ابن عذاري: ٢ / ٦١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، (٤)
القسم الخاص بإسبانيا، بيروت، ١٩٥٦، ص ١١
انظر ابن عذاري. ٢ / ٦٢ - ٦٣، ٧٠ - ٧١ (٥)

ص ١٠٧ - الفصل الثاني أعمال الأمراء الأمويين في تثبيت السلطة والاستقرار

وقد استمر نظام ولاية العهد في الأندلس في عهد الإمارة بعد ذلك يسير دون مشاكل، فعهد الحكم بن هشام إلى ابنه عبد الرحمن بولاية العهد، فانتقلت إليه الإمارة دون ضجة أو معارضة. ثم تولى بعد عبد الرحمن الثاني أو الأوسط ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي انتقلت الإمارة إلى اثنين من أبنائه، وهما المنذر بن محمد الذي حكم سنتين تقريباً، وعبد الله بن محمد الذي حكم نحو خمس وعشرين عاماً. وعهد الأمير عبد الله بالحكم من بعده إلى أحد أحفاده، وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، الذي حكم نحو نصف قرن، وفي عهده أعلنت

وفيما يأتي ثبت بأسماء الخلافة، وابتدأ عهد جديد من عهود العرب في الأندلس،

:الأمراء الأمويين في الأندلس

(الداخل) عبد الرحمن الأول - ١

١٧٢هـ/ ٧٥٥ - ٧٨٨ م - ١٣٨

هشام الأول - ٢

١٨٠هـ/ ٧٨٨ - ٧٩٦ م - ١٧٢

الحكم الأول - ٣

٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢٢ م - ١٨٠

(الأوسط) عبد الرحمن الثاني - ٤

٢٣٨هـ/ ٨٢٢ - ٨٥٢ م - ٢٠٦

محمد الأول - ٥

٨٥٢هـ/ ٨٨٦ - ٨٨٦ م - ٢٧٣ - ٢٣٨

المنذر بن محمد - ٦

٢٧٥هـ/ ٨٨٦ - ٨٨٨ م - ٢٧٣

عبد الله بن محمد - ٧

٨٨٨هـ/ ٩١٢ - ٩١٢ م - ٣٠٠ - ٢٧٥

(والد عبد الرحمن الناصر) محمد

لم يحكم

(الناصر) عبد الرحمن الثالث - ٨

٣٥٠هـ/ ٩١٢ - ٩٦١ م - ٣٠٠

وفي عهده أعلنت الخلافة العربية الإسلامية في الأندلس عام ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م

